قراءة في التراث اللغوي للعلّامة عبد القادر المجّاويّ(ت: 1914م)

A Reading in the Linguistic Heritage of Allama Abd al-Qadir al-Majawi (d. 1914 AD)

د حسين سعدودي*

تاريخ الإرسال: 2022/12/30	تاريخ القبول: 04 /03/ 2023	تاريخ النشر: 2023/05/10

الملخص:

هذه الدراسة كشف وإماطة اللثام عن تراث لغوي لعلم من أعلام حقبة تاريخية مهمة وصعبة عاشتها الجزائر بعيد احتلال فرنسا لها، وما صاحب ذلك من قتل مادي ومعنوي لهذه الأمة، علمٌ حمل لواء التعليم الحرّ والنظامي في قسنطينة للحيلولة دون تحقيق المحتل الغاشم لأهدافه الخسيسة، هذا العلم هو الشيخ عبد القادر المجاوي(ت: 1914م) الذي كان تراثه اللغوي معينا علميا، ومنهجا اقتدى به من تعاطى تعليم علوم العربية، فكانت الثمرة رعيلا من المفتين والأدباء والقضاة والصحافيين والمعلمين.

الكلمات المفتاحية: عبد القادر المجاوي، التراث، اللغوي، التعليم، الحرّ.

Abstract:

This study reveals and unveils the linguistic heritage of a teacher of Arabic sciences in an important and difficult historical era that Algeria lived through after the French occupation of it, and the accompanying material and moral killing of this nation, a sheikh who carried the banner of free and formal education in Constantine to prevent the brutal occupier from achieving his despicable goals, He is Sheikh Abd al-Qadir al-Majawi (d.: 1914 AD), whose linguistic heritage was a scientific aid, and a methodology that was followed by those who dealt with the teaching of Arabic sciences, so the fruit was a generation of muftis, writers, judges, journalists and teachers.

***Key words**: Abd al-Qadir al-Majawi, linguistic heritage, teaching.*

*****

* جامعة المدية. Chonisadoudi2014@gmail.com

المؤلف المرسل: حسين سعدودي Chonisadoudi2014@gmail.com

مقدمة:

إنما تقاس عظمة العلماء الأعلام بعظيم ما يخلفونه من تراثٍ علمي، وبعظيم تأثيرهم في الواقع الذي كانوا يعيشونه ويحيون فيه، والشيخ المجاوي رحمه الله لا يشذّ عن هذه القاعدة المطردة في تاريخنا، ذلك أنه حمل لواء التعليم لعلوم العربية والشريعة في حاضرة قسنطينة بعيد احتلال فرنسا للجزائر وسقوط الحواضر الكبرى تباعًا، وما تلى ذلك من قتل مادي ومعنوي، سلط على هذه الأمة؛ لاقتلاعها من جذورها الضاربة في عمق التاريخ، وسلخها عن قيمها الدينية واللغوية، بهدم مساجدها وزواياها ومدارسها وكتاتيبها، فأحيا هذا الشيخ العالم الربانيّ ما انمحى واندرس من معالم العلم والتعليم هو وثلة من إخوانه، فسخر كل وقته وجهده للتعليم المسجدي الحرّ، وبعد مدة يسيرة أطبقت شهرته آفاق المدينة وما جاورها وعلا صيته؛ إذ كثر إقبال طلبة علوم العربية عليه وعلى دروسه، وعظم النفع به، فرقّته السلطات الفرنسية للتدريس في مدرستها الشرعية الرسمية لتخريج القضاة والمفتين والمعلمين والصحافيين وأعوان الإدارة الفرنسية، وبعد أن تمرس في التدريس وحصّل خبرة كبيرة واستأنس من نفسه القدرة على التأليف تصدّى له، وهو مقتدر، فألف في فنون العربية من نحو وصرف ولغة وأدب، وصار ممن يضع المناهج في تعليم هذه العلوم، وهذه المقالة تهدف بادئًا إلى معالجة إشكالية رئيسة هي ما حقيقة التراث اللغوي الذي خلّفه هذا العالم؟ ومعالجة إشكالات، هي روافد معرفية تخدم معالجة الإشكالية الأساس. وهي: من هذا العالم أولا؟ وما منهجه في تأليفه؟ وما القيمة العلمية لهذه المؤلفات؟ والمعالجة والتناول لن يزيد على ترجمة وافية، وإن كانت مقتضبة لهذا العالم، وذلك بذكر نسبه وطلبه للعلم وشيوخه، وجهوده التعليمية وتلاميذه، ومؤلفاته، ووفاته. ثم وصف تراثه اللغوي ثانيًا،

وهو أربعة مؤلفات ما بين مخطوط ومطبوع، وقراءتها قراءة نقديّة؛ ببيان قيمتها العلمية. متوسلا في كل ذلك بمنهج وصفي تحليلي تاريخي ونقدي.

1. ترجمة العلّامة عبد القادر المجاوي:

1. 2. نسبه: هو عبد القادر بن عبد الله بن محمّد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عيسى بن داود بن يس أبي حناش بن خمليش بن علي بن محمّد بن عبد الجليل المجّاوي[1] نسبة إلى مجّاوة أو مشّاوة إحدى قبائل شمال المغرب الأقصى. أجمع الذين ترجموا للشيخ على أنّ ولادته كانت سنة 1264هـ/1848م، بينما اختلفوا في تحديد مسقط رأسه فريقين؛ فريقٌ يرى أنه ولد بتلمسان، ونجد على رأس هذا الفريق تلميذه محمود كحول الذي أورد ترجمة له في تقويم الجزائر لسنة: 1911م في أثناء حياته، وتبعه بعد ذلك من ترجم له نقلا عنه، وسكت عن ذلك الحفناوي - إقرارا - في ترجمته للشيخ التي جاءت في أعقاب ترجمته لوالده الشيخ الأعلم محمّد المجاوي - رحمه الله - وكان ذلك في أثناء حياته أيضا.

وأمّا الفريق الثاني فيرى أنّه ولد بطنجة في المغرب، وعلى رأس هذا الفريق الأستاذ عادل نويهض، الذي جاءت ترجمته للشيخ متأخرة عن ترجمة تلميذه كحول، وترجمة الحفناوي.

وتحقيق المسألة أنّ ولادته كانت بطنجة - كما ذهب إليه الأستاذ عادل نويهض - لاعتبارات عديدة، نذكر واحدا منها يكفي ليكون دليلًا:

أنّ عائلة المجّاوي كانت من الأسر التي هاجرت مرغمة إلى المغرب، غداة سقوط تلمسان في أيدي قوات الاستعمار الفرنسي تحت قيادة المارشال بوجو بعد انسحاب الأمير عبد القادر- رحمه الله - والمقاومة منها سنة 1258هـ/1842م، لاسيما وأنّ هذه العائلة المشهورة كانت تساند - كغيرها من الجزائريين - الأمير عبد القادر في المقاومة[2]،

فعلى هذا يكون المجّاوي ولد بطنجة حيث تقلّد والده القضاء، وبقي بها قاضيا إلى أنِ انتقل إلى ربه عزّ وجلّ.

أورد الشيخ الحفناوي في ترجمته للشيخ محمد المجّاوي شهادة تلميذه المغربي الشيخ الفقيه أحمد بن حسّون، قاضي وازان حول شيخه، الذي درّسه بجامع القرويين، وفيها: أنّه ولي خطة القضاء بثغر طنجة، فخرج إليها من فاس في الربيع النبوي عام 1262هـ، وبقي بها قاضيا ومدرسا وخطيبا إلى أنْ أدركه المنون في ثالث وعشرين من رجب عام1267هـ[3].

3.1. طلبه العلم: أخذ الشيخ المجاوي عن والده بطنجة كتاب الله أولا ثمّ عن جده، وتتلمذ على الشيخ مفضّل أفلال العلمي، وعلى الشيخ أحمد النجار، وعلى الشيخ الطيب اليعقوبي[4]. ثم انتسب بعد أن اشتد عوده إلى القرويين بفاس، وأخذ عن جلّة من العلماء الذين أخذوا عن والده؛ لما درّس بالقرويين نذكر منهم: محمد العلوي قاضي فاس، ومحمد بن سودة، ومحمد قنون (كنون)، وجعفر الكتاني، وأحمد بن الحاج، والحاج أحمد بن سودة، والحاج أحمد بناني والشيخ مولاي أحمد العراقي، والشيخ الحاج الصالح الشاوي والشيخ مهدي بن الحاج وغيرهم كثير[5].

1. 4. جهوده التعليميّة: ما إن عاد الشيخ المجاويّ إلى الجزائر حتى استقر بقسنطينة في 1869م معلما في مدارسها الحرة، ومساجدها وزواياها، فكثر طلابه، وعظم النفع به، وصار قبلة لطلاب علوم العربية، ثم رقّته فرنسا إلى أستاذ في مدرستها الشرعية سنة 1877م[6]. وفي سنة 1898 نقلته إلى العاصمة للتدريس في مدرستها الشرعية ثم في المدرسة الثعالبيّة بعد افتتاحها سنة 1905م[7]، ومن أشهر من تتلمذ له: المولود بن الموهوب، وحمدان الونيسي، والحاج البوعوني وحمود الدراجي، وعبد الكريم باش تارزي، وابن زكري، ومحمود كحول، وابن مرزوق، وأحمد الحبيباتي، وأبو بكر بوطالب،

وإبراهيم أطفيش، والشيخ أرزقي الشرفاوي الغبريني الأزهري، وولده مصطفى المجاوي، وغيرهم كثير[8].

1. 5. مؤلفاته: لقد خلّف الشيخ مجموعة من المؤلفات اللغوية والشرعية وفي المنطق والفلك والحساب والاقتصاد، نذكر منها: إرشاد المتعلمين، والمرصاد في مسائل الاقتصاد، ونصيحة المريدين، وشرح منظومة ابن غازي في التوقيت، والفريدة السنية في الأعمال الجيبية، والاقتصاد السياسي، ومنظومة في التوحيد، وتحفة الأخيار في الجبر والاختيار، والقواعد الكلامية، واللمع في نظم البدع. وكتاب الإفادة لمن يطلب الاستفادة، وشرح جمل الخونجي[9]. ومؤلفاته اللغوية التي سنستفيض في الحديث عنها وصفًا وبيانَ قيمةٍ، ونقدًا.

1. 5. وفاته: بعد حياة حافلة بالجهاد العلمي التعليمي والإصلاحي والتأليف عاد الشيخ إلى قسنطينة هو وثلة من العلماء لتلبية دعوة علمية أصيب بوعكة طارئة، وقيل تسمم، فقضى الشيخ إلى ربه، وأسلم الروح إلى باريها في 1914/10/6م[10]. فرحمة الله عليه.

2. التراث اللغوي للشيخ عبد القادر المجّاوي:

لم يؤلف الشيخ عبد القادر المجّاوي - رحمه الله - إلّا بعد أن مارس تعليم علوم العربية وعلوم الشريعة تدريسا في المدارس الحرة، ثم في المدرسة الشرعية لما أطبقت شهرته آفاق حاضرة قسنطينة وما جاورها من المدن القريبة، فألف في فنون العربية المختلفة وفي العلوم الشرعية والقضاء. وما نهتم به في هذه الدراسة هو تراثه اللغوي؛ الذي خلفه، وكان ألفه لتدريس مختلف صفوف طلبة هذه المدرسة الشرعية.

2. 1. أمّا المؤلف اللغويّ الأوّل فهو: "**كشف اللثام عن شواهد قطر ابن هشام**"[11]، وهو كتاب لغويّ ألفه لطلبة المدرسة الشرعية الفرنسية، وهو باكورة أعماله اللغوية؛ إذ

ألفه سنة 1878م، وشرح فيه شواهد كتاب "قطر الندى وبل الصدى" لابن هشام الأنصاريّ (ت: 763ه) الشعرية، والظاهر أنه كان عمدته في تدريس علم النحو للمبتدئين أو الصفوف الأولى في المدرسة الشرعية، وهو كتاب موجز جدًّا، غير أنه يعجّ بالشواهد الشعرية؛ إذ بلغت فيه أربعة وخمسين ومئةَ شاهدٍ، أقبل عليها الشيخ المجّاوي بالشرح والدراسة؛ فيسمّي بحر الشاهد، وقد يغفل عن تسميته. ويعزو الشاهد إلى قائله إن كان ممن يعلم له قائل، وغفل ابن هشام عن عزوه، ثم إنه يترجم لصاحب الشاهد إن كان ورد معزوًّا بترجمة موجزة، ويحيل على بعض مصادره كأمالي أبي علي القالي وغيره، ثم يشرح غريبه، ويبيّن محل الشاهد فيه، ثم يعربه إعراب إفراد. فمن الشاهد يتعلم التلميذ أو الطالب العروض من تسمية البحر، ويتعلم بعد ذلك شيئًا عن قائل الشاهد؛ إذا كان ممن يعلم، ويعرّف بمصادره في أمات الكتب اللغوية والأدبية، ويتعلم غريب اللغة، ويتبين محل الشاهد في البيت، ثم يحصّل إعرابه إفرادا وجملا. فنعمت الطريقة، ونعم المنهج في تحصيل علم العربية تحصيلا متكاملًا.

وهذا مثالٌ من شرحه:

قوله: فساغ لي الشراب وكنت قبلًا أكاد أغَصُّ بالماء الفرات.

قائله عبد الله بن يعرب، وكان له ثأر فأدركه. والبيت من الوافر. وساغ معناه جاز، أي استمر. والشراب الخمر، وهو أحد أسمائها، ويسمى الخندريس والرحيق والعقار والسلافة والصهباء والقرقف. وأغصّ من باب عَلِمَ يَعْلَمُ. والفرات العذب السائغ. ويروى الحميم [بدل الفرات] أي البارد، فهو من الأضداد. والرواية المشهورة الماء الحميم.

الإعراب: الفاء عاطفة، وساغ فعل ماضٍ، والشراب فاعلٌ، وكنت: الواو للحال، وكان فعل ماضٍ ناقصٌ، والتاء اسمها، وقبلًا منصوب على الظرفية، وفيه الشاهد؛ حيث قطعه على [عن] الإضافة لفظًا ومعنًى، وأكاد فعل مضارع من "كادَ"، وهو من أفعال

المقاربة، واسمها ضمير مستتر تقديره أنا، وجملة "أغَصُّ" خبره، بالماء: جارّ ومجرور. والفراتِ صفة[12].

وما يلاحظ على الشرح: أن الشيخ يستقصي فيه، ويحقق؛ إذ في شرحه على هذا الشاهد بيّن باب الفعل "أغصّ" الصرفيّ، فهو من باب "عَلِم يَعْلَمُ"، ثم ساق أسماء الخمر، وهي كثيرة، وأورد رواية أخرى للبيت؛ بـ"الحميم" بدل "الفرات"، غير أنه رجّح الرواية الأولى؛ لأنها المشهورة.

المثال الثاني:

قوله: عميرةَ ودعْ إنْ تجهزتَ غاديَا كفى الشيبُ والإسلامُ للمرء ناهيَا

البيت من الطويل. وقائله: سحيمٌ بالتصغير. وعميرةُ اسم محبوبته، وغاديًا أي ذاهبًا. والشيب بياض الشعر.

والشاهد في قوله: كفى الشيبُ؛ حيث تركتِ الباء في فاعل "كفى".

والمعنى: ودّع المحبوبة عميرة، إنْ أنت تجهزت للسفر، فيكفي الإسلامُ والشيبُ في نهيِ المرء عن ارتكاب القبائح. الإعراب: عميرةَ مفعول به مقدمٌ بودّع. وإنْ تجهزتَ: جازم ومجزوم. وغاديا: حال من التاء، وكفى فعل ماضٍ والإسلامُ والشيبُ فاعلٌ، ومعطوفٌ عليه. ناهيا: تمييز، وللمرء جارٌّومجرور[13].

والجدير بالملاحظة في شرح هذا الشاهد أنّ أمير المؤمنين عمر رضي - الله عنه - عاب على الشاعر تقديم الشيب على الإسلام، وقال له: لو قدمت الإسلام لأجزتك[14]. واعتذر له بأنه محكوم بالوزن والقافية، وأنه لم تكن له مندوحة لو كان في غير الشعر، ومن أجل ذلك قدّم الشيخ الإسلام على الشيب ذكرًا وإعرابا، ولم يلتزم بترتيب الشاعر.

2. 2. الكتاب الثاني: "الدرر النحويّة على المنظومة الشبراوية"[15] أو "الدرر النحوية على اللاميّة الشبراويّة"، هكذا يسمّى، وهو شرح على منظومة الإمام أبي جمال الدين

عبد الله بن عامر القاهريّ الشافعيّ(ت: 1172ه)، وهذا الشرح ثاني المؤلفات اللغوية؛ التي ألفها الشيخ؛ إذ ألفها سنة: 1296ه/1879م. والمنظومة الشبراوية نظم في علم النحو العربي، وهي على وزن البسيط، في 50 بيتًا، أولها:

يا طالب النّحو خذ منّي قواعده منظومة جملة في أحسن الجملِ.

في ضمن خمسين بيتًا لا تزيد سوى بيتٍ به قد سألت العفو عن زللِ.

وأما آخر بيت فيها فهو قوله:

يا ربّ عفوا عن الجاني المسيء فقد ضاقت عليه بطاح السهل والجبلِ[16].

والشبراويّ شاعر حسن الشعر، وله ديوان في المديح النبويّ، سمّاه "منائح الألطاف في مدائح الأشراف"[17]، ولذا أحسن تأليف هذا النظم التعليميّ؛ إذ أحسن فيه عرض المهمّ من أبواب النحو للمبتدئين والمتوسطين فيه، وجعله (النظم) في مقدمةٍ وخمسةِ أبوابٍ: ففي المقدّمة وهي في ثلاثة (3) أبياتٍ عرّف بنظمه، ورغّب طالب علم النحو فيه. وأمَّا الباب الأوّل وهو في أربعة (4) أبياتٍ فقد جعله لبيان حقيقة الكلام، وما يتألف منه. وجعل الباب الثاني وهو في ستة (6) أبيات لمعرفة حقيقة الإعراب وعلاماته. بينما خصّص الباب الثالث وهو في سبعة عشر (17) بيتًا لمرفوعات الأسماء، وأتبعه في الباب الرابع وهو في أربعة عشر (14) بيتًا ذكر منصوبات الأسماء. وأما الباب الخامس وهو في ستة (6) أبيات فقد جعله لمخفوضات الأسماء.

وأمَّا شرح الشيخ **المجاويّ** على هذا النظم فهو من أحسن وأطول الشروح؛ التي وضعت عليه، ذلك أنّ الشيخ المجّاويّ ما انبرى لوضع هذا الشرح حتى تصدر لتعليم علوم العربية المختلفة؛ من نحو وصرف وعروض وبلاغة ولغة لعقدٍ من الزمن؛ في مدارس قسنطينة الحرة وكتاتيبها، ثم في مدرستها الفرنسية الشرعية بعد أن طارت

شهرته وعلا ذكرُه، والتف حوله طلاب العربية، واشتدّ الإقبال عليه، ولقيت دروسه نجاحا منقطع النظير.

وأمّا **القيمة العلميّة** لهذا الشرح المبارك فهي أولا في حسن اختيار هذا النظم؛ لتدريسه لطلاب علم العربية، ثم في غنى هذا الشرح، وسهولته وسلامة تراكيبه، وحسن عرضه؛ إذ أنه يعرض في كل باب نحويّ كلياته وجزئياته، ويبين فيه مواضع الاختلاف بين المدرستين، ويورد أقوال النحاة داخل المدرسة الواحدة، ويرجّح ما يراه من الآراء راجحًا، ويحشد له الشواهد النحوية؛ من كلام الله تعالى، ومن كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكلام العرب المحتجّ به شعرًا ونثرًا، ثم يمثل لكل الظواهر النحوية واللغوية المختلفة بالأمثلة المصنوعة، ليثبتها في عقول الطلاب. وهذا وصف إحصائيٌّ لكل باب.

التزم الشيخ المجاويّ بتبويب الناظم، ولم يخلّ به، فقد ابتدأ شرحه بخطبةٍ، بيّن فيها أسباب وضع هذا الشرح، وسبب اختيار هذه المنظومة، ثم طفق يتكلم عن البسملة بطرف مناسب للغرض، وتكلّم عن "اسم"، وبين اشتقاقه، واستفاض في الحديث عن لفظ الجلالة "الله"، واسميه الحسنيين "الرحمن" و"الرحيم"، وأورد أقوال الأصوليين ثم أعربها، وبيّن وجوهها من القطع والإتباع. ثم تكلّم عن علم النحو تعريفا ووضعا وموضوعا وغرضا ونسبة، ولم يغفل ذكر أهم مصادره في شرحه؛ على غرار مقدمة الفخر الرازي في التفسير، وقطر ابن هشام، والأزهرية (التصريح على التوضيح) لخالدٍ الأزهريّ، ثم عرّف باللّامية الشبراويّة، وختم مقدمته بإعراب البيتين الأولين إفراد وجملا، بعد أن استخرج ما فيهما من فوائد بلاغية، وما تعلق منها بعلم القافية[18].

وأما الباب الأول: فقد شرح فيه حقيقة الكلام، لغة واصطلاحا، واستشهد بثماني (8) آيات من الذكر الحكيم، وبأربعة (4) شواهد من الشعر العربي، وشاهد تعليميّ (من

الألفية النحوية) واحدٍ، ومثّل بثلاثة وعشرين (23) مثالًا مصنوعًا. ويختم كلّ جزئية بإعراب البيت الذي يعالجها، إعراب إفراد وجملٍ. وهو ديدنه ودأبه في كل الأبواب.

وأمّا الباب الثاني: فقد تحدث فيه عن الإعراب وعلاماته بتفصيل وإسهاب؛ إذ عرّف بالإعراب لغة واصطلاحًا، مع الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث وكلام العرب، ثم طفق يتحدث عن علامات الإعراب الأصلية والفرعية، مع التمثيل لكل ما يحتاج إلى التمثيل. وإجمالا استشهد باثنتين وعشرين (22) آيةً من القرآن الكريم، وأمّا الشواهد الشعرية فقد استشهد بستة (6) أبيات شعرية، واستعان لتثبيت القواعد بثلاثة عشر (16) بيتًا من النظم التّعليميّ، ومئة (100) مثالٍ مصنوعٍ للتقريب والتثبيت[19].

وأمَّا الباب الثالث: فقد شرح فيه "مرفوعات الأسماء"، وفصل فيها القول، وتعرّض لكل جزئيات الباب، واستشهد بثماني عشرة (18) آية من القرآن الكريم، واستشهد بثلاثة (3) شواهد شعرية، واستعان بخمس وعشرين (25) بيتا من النظم التعليميّ، ومئة وأربعين (140) مثالٍ مصنوع[20].

وأمَّا الباب الرابع: فقد شرح فيه "منصوبات الأسماء"، ولم يخالف طريقته المعهودة من بسط الكلام في جزئيات الباب، وبالجملة فقد استشهد بعشر (10) آيات من القرآن الكريم، ولم يستشهد ولو ببيتٍ واحدٍ من الشعر العربي، غير أنه استعان بسبعة عشر (17) بيتا من النظم التعليميّ، واثنين وتسعين (92) مثالٍ مصنوعٍ[21].

وأمَّا الباب الخامس: فقد شرح فيه "مخفوضات الأسماء"، متبعا الطريقة نفسها في بسط الكلام على جزئيات الباب غير أنه لم يستشهد بذلك الكم المعهود في الأبواب الأولى؛ إذ أنه استشهد بثلاث (3) آيات كريمة، وثلاثة (3) أبيات، ومثّل بخمسة عشر (15) مثالا مصنوعا[22].

ونستخلص من كل ما سبق أنّ الشيخ استشهد في مجموع الأبواب المشروحة من أجل تقريب الفهم والاحتجاج وتثبيت القواعد الكلية والجزئية بأربعة وستين (64) آية من القرآن الكريم، وستة عشر (16) شاهدا شعريًّا، وتسعة (9) شواهد أخرى (لا يحتج بها وإنما للاستئناس)، وتسعة وخمسين (59) بيتا من النظم التعليميّ، وثلاثمئة وسبعين (370) مثالا مصنوعًا.

2. 3. الكتاب الثالث: "نزهة الطرف فيما يتعلق بمعاني الصرف"، وهو شرح متن (بناء الأفعال) في الصرف، وقد يقال: "متن بناء الأفعال والأساس" في علم الصرف، وهو أي "متن البناء" لمؤلف مجهول[23]. وهو كتاب مختصر جدًّا، جمع فيه مؤلفه المهم من أبواب تصريف الأفعال: "المجرّد" وينتظم في ستة أبواب، و"المزيد" وهو منتظم في اثني عشر بابًا تحت ثلاثة أنواع: فالنوع الأول ما زاد على الثلاثي بحرف واحد، وهو في ثلاثة أبواب. والنوع الثاني: ما زاد على الثلاثي بحرفين، وهو في خمسة أبواب. والنوع الثالث: ما زاد على الثلاثي بثلاثة أحرف، وهو في أربعة أبواب. وواحد للرباعي المجرّد، وهو في باب واحد. والملحق بالرباعي ستة أبواب. وثلاثة لما زاد على الرباعي المجرد، وهو نوعان: النوع الأول، وهو ما زاد على الرباعي المجرد بحرف واحد، وهو في باب واحد. والنوع الثاني ما زاد على الرباعي المجرد بحرفين، وهو بابان. وخمسة منها لملحق "تدحرج"، واثنان لملحق "احرنجم". وأبواب الأفعال مجردة ومزيدة محصورة كلها في ثمانية أقسام[24].

وأمّا شرح الشيخ المجاوي - رحمه الله - على هذا المتن فقد اطلعت عليه مخطوطًا ضمن مجموع تحت رقم 654، في مصلحة الثقافة والتراث بوزارة الشؤون الدينية بالجزائر، وقد فرغ الناسخ عبد الله محمد أمقران من نسخها يوم 26 ربيع الثاني من سنة 1298هـ/1881م، ثم اطلعت عليه محققًا تحقيقا تجاريًّا (تحقيق حرّ غير أكاديمي)؛ إذ أقبل عليه الأستاذ محمد شايب شريف بالتحقيق والنشر.

وإقبال الشيخ المجاوي على هذا المتن المختصر المفيد بالشرح لمناسبته للمبتدئين والمتوسطين في علم الصرف العربي؛ إذ أنه تناول الأبواب الأولى والمهمة في علم الصرف، والتي لا يحسن بطالب علم العربية في المراحل الأولى إلا الإلمام بها. ثم إن الشيخ بدأ شرحه بخطبة قصيرة، أظهر فيها عزمه وقصده لشرح هذا المتن، ثم هجم مباشرة عليه يحلّ عباراته، ويبيّن المقصود منها، فيعرّف ما يحتاج منها إلى تعريف وحدٍّ، فقد قال في قوله في المتن: "اعلم": خطابٌ لكلّ من يتأتّى منه العلم، وهو العاقل الذي يفهم الخطاب، ويحسن الجواب. ثم أعقبه بحكم فعل الأمر من الوجوب، والندب، والجواز، والتهديد، والتعجيز، ثم عرّف العلم، فقال: إدراك الشيء على ما هو عليه، ثم بيّن حكم علم الصرف، فقال: واجب وجوبا كفائيا، ويتعين على من فيه أهليةٌ. ثمّ فسّر كلمة "باب" لغةً على الحقيقة والمجاز، ثم أقبل على "التصريف" بالتعريف فعرّفه لغة واصطلاحا، ليختم ببيان موضوع علم الصرف[25].

والملاحظ على هذا الشرح أنّ الشيخ لم يدّخر جهدا في حلّ عبارات المتن المختصرة والمركزة، ولا يغفل أيّ شيء فيها، فيتناوله بالشرح تحليلًا وتحديدا وتمثيلًا، ويستقصي كلّ جزئيات عبارات المتن. والحقّ أنّ هذا ديدن الشيخ وطبعه في كل الشروح التي وضعها على المتون العلمية التعليمية، ذلك أنه مارس التعليم لمدة ليست باليسيرة، قبل أن يؤلف في هذه العلوم التي درسها، وهي متنوعة ما بين لغوية وشرعية ومنطق واقتصاد وحساب وفلك، وما يهمنا هنا هو علوم العربية المختلفة، وكأنّ الشيخ - إن لم يكن كذلك حقًّا - ممن كان يضع المناهج العلمية التعليمية، ولا استبعد ذلك فما رقّته السلطات الفرنسية للتدريس في مدرستها الشرعية الرسمية إلّا بعد أن رأت شدة إقبال الطلبة عليه في مدارس قسنطينة الحرة ومساجدها، وعظيم انتفاعهم به، ولا أدل على ذلك من عظيم تأثيره فيهم، وانخراطهم في سلكه التعليمي الإصلاحي، ولكثرة من تخرج عليه من المفتين والقضاة والصحافيين والمعلمين حيثما حلّ، وأقصد تحديدا قسنطينة والجزائر العاصمة. ولن أنجرّ وراء هذا السيل من الكلام المسترسل تنويها بجهود وجهاد

ونجاح هذا المعلم والمربي والمصلح الرباني؛ الذي أخلص في عمله المتنوع فرزقه الله القبول بين طلبة العلم والناس جميعا، وجعل الله له ذكرا حسنا بعد أن توفاه إليه، فأبتعد عن الغرض من هذه الدراسة وحدودها المنهجية، وهو بيان قيمة الشرح العلميّ. وللوقوف على بعض ذلك يكفي أن نمثل بنموذج أو نموذجين من هذا الشرح.

قال في قوله: ﴿**والمتعدي هو ما يتجاوز فعل الفاعل إلى المفعول به، واللازم ما لم يتجاوز فعل الفاعل إلى المفعول به، بل وقع في نفسه**﴾: يعني أنّ الفعل المتعدّي هو الذي يتجاوز إلى المفعول به، واللازم هو الذي يرفع الفاعل فقط، ولا يتعدى إلى المفعول به. وعلامته أن تتصل به هاء غير مصدره، وأمّا هاء مصدر الفعل فإنَّها تتصل بالمتعدي واللازم، مثال ذلك: زيدٌ نصره عمرُ، فإنك تجدُ الضمير يعود على "زيد"، وهو غير مصدره، وفي الخلاصة:

علامةُ الفعل المعدّى أن تصلْ ها غيرَ مصدرٍ بهِ نحو عمِلْ[26].

وبادئ الرأي إنّ الشيخ قصّر في شرّحه؛ إذ أنه أعاد المتن، ولم يزد شيئا يذكر، فلم يعرّف الفعل اللازم والفعل المتعدي إلّا بما جاء في المتن، لكن هذا غير صحيح. ذلك أنه جاء عقيب ذلك بحد إجرائي به يتعرف الفعل المتعدي ويمتاز عن اللازم، وهو قبوله هاء غير مصدره، وهذا الذي لا بد أن يدركه طالب علم الصرف والنحو، ثم إنه لم يكتف بهذا بل مثّل بمثال مصنوع للتثبيت، وزاد على ذلك إذ أورد بيتا من الخلاصة في هذه الجزئية، فما أحوج من يعانون تعليم العربية اليوم إلى مثل هذه المنهجية الناجحة والناجعة.

وقال في قوله: [فعَل يفعَلُ موزونه: "فتَح يفتحُ"، وعلامته أن يكون عين فعله مفتوحًا في الماضي والمضارع؛ بشرط أن يكون عينُ فعله أو لامه واحدا من حروف الحلق، وهي ستة: الحاء والخاء والعين والغين والهاء والهمزة، وبناؤه أيضا للتعديّة غالبا، وقد يكون لازما مثال المتعدّي نحوُ: فتح زيدٌ الباب، ومثال اللازم نحو: ذهب زيدٌ.]:

يعني أنّ الباب الثالث من الفعل الثلاثي المجرد "فعَل يفعَل" بفتح العين في الماضي والمضارع، ويستعمل متعدّيا ولازمًا، ولزومه أقلّ من تعدّيه. ويشترط أن تكون عين فعله أو لامه حرفا من حروف الحلق، وحروف الحلق ستة: الهمزة نحو: "سأل" و"بدأ" و"درأ" في المتعدّي، وهدأ في اللازم. والعين نحو: "هرَع يهرَعُ" و"سرع يسرَع" [في اللازم] ودفَع يدفَع" و"نفَع ينفَع" ولعَن يلعَن" [في المتعدي]. والحاء نحو: "فتَح يفتَح" و"منَح يمنَح"، و"تحَف يتحَف". والهاء نحو: "نهَقَ ينهَق" و"نهَل ينهَل" و"شرَه يشرَه". والغين نحو: "نبَغ ينبَغ" و"دبَغ يدبَغ"، و"لغَى يلغَى". والخاء نحو: "نفخَ ينفَخ" و"سَخَط يسخَط"، و"ردَخ يردَخ".

فهذه الأمثلة كلها من "فعَل يفعَل" وفي لامية الأفعال لابن مالك:

في غير هذا لذي الحلقيّ فتحًا أجز بالاتفاق كآتٍ صيغ من سألا.

والملاحظ على الشرح أن الشيخ لم يبيّن الأفعال اللازمة والأفعال المتعدية من الأمثلة التي مثّل بها؛ خلافا لعادته في شرحه، كما أنه أورد في الأمثلة فعلا لا يقبل الفتح؛ فتح العين بل لا يستعمل إلا مكسورها، وهو الفعل "سَخِط"، قال الله تعالى: ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [المائدة: 80]. وليس فيه قراءاتٌ. ولعله تصحيف من الناسخ رحمه الله[27].

2. 4. الكتاب الرابع: كتاب **"الدرر البهية على القصيدة المجراديّة"** (شرح نظم المجرادي أبي عبد الله محمد بن محمد بن عمران المجراديّ السَلاويّ (ت: 778هـ) في الجمل أنواعها وأحكامها[28]. والنظم في بحر الطويل، وهي لامية في سيعين بيتًا، وقد شرحها كثير من الفضلاء، على غرار عبد الكريم بن محمد الفكون القسنطيني (ت: 1073هـ) الذي سمّى شرحه بـ"فتح الهادي في شرح جمل المجراديّ". ولكن الشيخ المجاويّ خير من انبرى حسب الأستاذ أبي القاسم سعد الله لشرح هذا النظم. ذلك أنّه متمرس

في تعليم علوم العربية وغيرها من العلوم الشرعية والعقلية كالمنطق والحساب والفلك[29].

والنظم كما قلت في واحد وسبعين بيتًا، فأما الأبيات الخمسة الأولى فهي خطبة الكتاب. وبيّن حقيقة الجملة في الأبيات الثمانية التالية. ثم يتبعها ببيان الجملة الصغرى والكبرى في الأبيات الخمسة التالية. وأما الأبيات الثلاثة التالية فقد جعلها لبيان الجمل الكبرى ذات وجه، وذات وجهين. ثم بيّن الجمل التي لها محل من الإعراب في نحو ستة عشر بيتًا. وأما الجمل التي لا محل لها من الإعراب فقد سخر لها أحد عشر بيتًا. ليتناول بعد ذلك حكم الجمل بعد النكرة والمعرفة في ثلاثة أبيات. ثم تناول بعد ذلك أحكام حروف الجرّ في التعلق وعدمه، وبيان أحكام المتعلق به في سبعة أبياتٍ. ثم بيّن في بيت واحد حكم المجرور بعد النكرة والمعرفة. ثم تناول ما يتعلق به المجرور إن وقع حالا أو صفة أو خبرا أو صلة في أربعة أبياتٍ. وأما رفع الفاعل بعد النفي والاستفهام، فقد بينه في ثلاثة أبيات. ليختم نظمه في ثلاثة أبيات[30].

وأمّا شرح الشيخ فقد بدأه كدأبه في شروحه كلّها بخطبة الشرح التي افتتحها بالبسملة والتصلية والحمدلة، ليبين بعد ذلك منهجه في شرحه؛ إذ يقول: إنه لما كانت المنظومة اللامية المجرادية في علم الجمل للأستاذ أبي عبد الله محمد بن محمد الفزاري، الشهير بابن المجراد السلاوي، اعتنى بشرحها كثير من أهل العلم، فمنهم من أطنب إطنابا مملًّا، ومنهم من اختصره اختصارا مخلًّا، أردت أن أتوسط بين الأمرين، وأسلك أسهل السبيلين، [فأحلّ لفظها وأعربه]، راجيا منه تعالى الإعانة على ما أردته وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم وسميته بـ"الدرر البهية على القصيدة المجرادية"[31].

ولبيان منهجه في شرحه والوقوف على قيمته العلمية نورد هذا النموذج: قال الناظم:

ومثلُ "أتى زيدٌ" أو "الحقُّ واضحٌ" أو إنْ "قام زيدٌ" جملةٌ قد تمثّلَا.

[الشرح] ذكر تعريف الجملة وأنها أعمّ من الكلام، ومعناه أنّ ما تركب من فعلٍ وفاعل نحو: "أتى زيدٌ"، و"إنْ قام زيدٌ"، أو من مبتدأ وخبرٍ نحو: "الحق واضحٌ"؛ أي بيّنٌ لا يخفى، وكذلك ما قام مقام الجملة نحو: أقائم الزيدان؟" فإنه يسمى جملة أفاد أو لم يفد، كـ"إنْ قام زيدٌ"؛ لأن الفائدة لا تحصل به، بل بضميمة جواب الشرط إليه. وأمّا الكلام فلا بدّ فيه من حصول الفائدة، كما ينصّ عليه بعدُ إن شاء الله تعالى.

وقوله: "ومثلُ" مبتدأ خبره جملةٌ، وما بينهما من الجمل الممثل بها في محلّ خفضٍ بإضافة مثلُ إلى أولاها، وعطف ما بعدها عليها، وتلك الجمل في البيت من قبيل المفردات؛ لأنها قصد لفظها، والجمل إذا قصد لفظها تصير من حيز المفردات، وتخرج من حيز الجمل، ولا يظهر فيها الإعراب للحكاية[32].

ونخلص أخيرًا إلى أن الشيخ المجّاوي من العلماء اللغويين المعلمين الذين كانت لهم اليد الطولى في علوم العربية تدريسا وتأليفا، ووضعًا لمناهج التدريس فيها. وأنه كان من أكثر علماء الجزائر نجاحًا في تخريج العلماء الأعلام إفتاء وقضاء وتدريسا وصحافة. وأنه أكثرهم تأليفًا والتزاما بالمنهج العلميّ التعليمي الصحيح الناجح والناجع. فما أحوجنا نحن الذين نتعاطى اليوم تعليم علوم العربية أن نترسم خطاه، ونهتدي بمنهجه العلمي في التدريس لنلقى ما لقي من النجاح، أو بعضه على الأقل.

قائمة المصادر والمراجع:

- الأعلام. خير الدين الزركلي(ت: 1396هـ). دار العلم للملايين. ط: 15. 2002م.

- أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر. د. أبو القاسم سعد الله. دار الغرب الإسلامي، بيروت. ط: 2: 1990م.

إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع. عبد السلام ابن سودة (ت: 1400هـ). تحقيق: محمد حجي. دار الغرب الإسلامي، بيروت. ط: 1: (1417هـ/1997م).

- آثار محمّد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: د. أحمد طالب الإبراهيمي. دار الغرب الإسلامي. بيروت لبنان. ط1997م.

- أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة. د. يحيى بوعزيز. دار الغرب الإسلامي، بيروت. ط: 1: 1995م.

- أعلام المغرب العربي. محمد الصالح الصديق. موفم للنشر، الجزائر ط: 2000.

- ابن باديس حياته وآثاره. جمع ودراسة د. عمار الطالبي. الشركة الجزائرية. ط3(1417هـ/1997م).

- باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان. الحاج محمد بن رمضان شاوش. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر: 1995.

- تاريخ الجزائر الثقافي. د. أبي القاسم سعد الله. دار الغرب الإسلامي. بيروت، لبنان. ط: 1. 1998.

- التقويم الجزائري لمحمود كحّول. تقويم سنة: 1911.

- تعريف الخلف برجال السلف، أبو القاسم الحفناوي، مؤسسة الرسالة. المكتبة العتيقة، بيروت، لبنان، ط2: (1405هـ/1985م).

- الدرر البهية في شرح المجرادية. ضمن سلسلة "حياة ومؤلفات شيخ الجماعة بحاضرة قسنطينة الشيخ عبد القادر المجاوي. باعتناء: محمد شايب شريف. الجزء الأول. الكتاب الخامس. دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر. ط: 2015.

- الدرر النحوية على المنظومة الشبراوية. ضمن سلسلة "حياة ومؤلفات شيخ الجماعة بحاضرة قسنطينة الشيخ عبد القادر المجاوي. تحقيق: حسين سعدودي الجزء الأول. الكتاب الثاني. دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر. ط: 2015.

- شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر. د. أحمد صاري. المطبعة العربية. ط: 2004.

- شرح المفصل. يعيش بن علي ابن يعيش الحلبيّ(ت: 643ه). تقديم: د. إميل يعقوب. دار الكتب العلمية. بيروت، لبنان. ط: 2: (1422ه/2001ه).

- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات. محمد عَبْد الحَيّ المعروف بعبد الحي الكتاني (ت: 1382ه). تحقيق: إحسان عباس. دار الغرب الإسلامي، بيروت. ط: 2: 1982م.

- كشف اللثام. ضمن سلسلة "حياة ومؤلفات شيخ الجماعة بحاضرة قسنطينة الشيخ عبد القادر المجاوي. تحقيق: عبد النور سبعون. الجزء الأول. الكتاب الأول. دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر. ط: 2015.

- معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان ط1: 1971.

- معجم المؤلفين. رضا كحالة. مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، بيروت. (د ط) (د ت).

- معجم مشاهير المغاربة. أبو عمران الشيخ وفريق من الأساتذة. منشورات دحلب، الجزائر، ط: 2000.

- نزهة الطرف في معاني الصرف. ضمن سلسلة "حياة ومؤلفات شيخ الجماعة بحاضرة قسنطينة الشيخ عبد القادر المجاوي. باعتناء: محمد شايب شريف. الجزء الأول. الكتاب الرابع. دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر. ط: 2015.

❊❊❊❊❊❊.

الهوامش:

[1] تنظر ترجمته في: التقويم الجزائري لمحمود كحّول، تقويم سنة 1911م، ص105، وتعريف الخلف برجال السلف، لأبي القاسم الحفناوي، مؤسسة الرسالة، المكتبة العتيقة، بيروت، لبنان، ط2(1405هـ/1985م)، (2 /456)، ومعجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان ط1: 1971، ص 95، والحركة الوطنية الجزائرية. د. أبو القاسم سعد الله. (2/149-148)، وتاريخ الجزائر الثقافي. د. أبو القاسم سعد الله، ج3، ص:110، وأعلام المغرب العربي. محمد الصالح الصديق. موفم للنشر، الجزائر ط:2000. (1/38-32)، وابن باديس حياته وآثاره. جمع ودراسة د. عمار الطالبي. الشركة الجزائرية. ط3(1417هـ/1997م)، (1/26-20)، ومعجم مشاهير المغاربة. أبو عمران الشيخ وفريق من الأساتذة. منشورات دحلب، الجزائر، ط2000، ص417-420، ومحمد بن أبي شنب، حياته وآثاره. الشيخ عبد الرحمن الجيلالي. ص16، وباقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان. الحاج محمد بن رمضان شاوش. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر: 1995. ص447-448.

[2] ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي(3/110)، و(4/487)، و(4/504-503)، و(5/529)، و(8/9).

[3] تعريف الخلف(2/456)، وينظر: فهرس الفهارس(1/122)، و(2/785)، وإتحاف المطالع(1/176).

[4] التقويم الجزائري. ص: 105.

[5] نفسه. ص: 105.

[6] التاريخ الثقافي(3/128).

[7] ينظر: التقويم الجزائري. ص: 105.

[8] نفسه(3/129)، و(3/142)، و(4/385-383)، ومعجم المشاهير. ص: 473. وتعريف الخلف(2/245-95). وأعلام من المغرب(1/38)، وأبحاث وآراء(2/196-193)، وأعلام الفكر والثقافة(1/216-313)، وشخصيات وقضايا. ص: 8، وما بعدها.

[9] ينظر: التقويم. ص: 105، والتاريخ الثقافي(7/196)، وأعلام من المغرب(1/32).

[10] ينظر: أعلام من المغرب(1/43)، وابن باديس حياته وآثاره(1/24)، ومحمد بن أبي شنب. ص: 16. ومعجم مشاهير المغاربة. ص: 420.

[11] التقويم الجزائري. ص: 105.

[12] كشف اللثام. ضمن سلسلة "حياة ومؤلفات شيخ الجماعة بحاضرة قسنطينة الشيخ عبد القادر المجاوي. تحقيق: عبد النور سبعون. الجزء الأول. الكتاب الأول. ص: 14.

[13] نفسه. ص: 109.

[14] شرح المفصل. ابن يعيش الحلبي(5/11).

[15] ينظر: معجم سركيس(2/1290)، والتقويم الجزائري. ص: 105، والتاريخ الثقافي(8/45).

[16] الدرر النحوية على المنظومة الشبراوية. ضمن سلسلة "حياة ومؤلفات شيخ الجماعة بحاضرة قسنطينة الشيخ عبد القادر المجاوي. تحقيق: حسين سعدودي الجزء الأول. الكتاب الثاني. ص:108-113.

[17] معجم الأعلام(4/130)، ومعجم المؤلفين (6/126-124).

[18] الدرر النحوية على المنظومة الشبراوية. ص: 106.

[19] نفسه. ص: 110-114.

[20] نفسه. ص: 106-114.

[21] نفسه. ص: 106-114.

[22] نفسه. ص: 106-114.

[23] التقويم الجزائري. ص: 105.

[24] نزهة الطرف في معاني الصرف. ضمن سلسلة "حياة ومؤلفات شيخ الجماعة بحاضرة قسنطينة الشيخ عبد القادر المجاوي. باعتناء: محمد شايب شريف. الجزء الأول. الكتاب الرابع. ص: 17، وما بعدها.

[25] نزهة الطرف في معاني الصرف. ص: 17-18.

[26] نزهة الطرف في معاني الصرف. ص: 20.

[27] نفسه. ص: 21-22.

[28] الدرر البهية في شرح المجرادية. ضمن سلسلة "حياة ومؤلفات شيخ الجماعة بحاضرة قسنطينة الشيخ عبد القادر المجاوي. باعتناء: محمد شايب شريف. الجزء الأول. الكتاب الخامس. ص: 13-17.

[29] التاريخ الثقافي(157/7).

[30] الدرر البهية في شرح المجرادية. ص: 13-17.

[31] نفسه. ص: 22.

[32] نفسه. 25-26.